

هل التَّخْلُصُ مِنَ الدِّينِ أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ؟

2019-05-15 اللجنة العلمية

يَقُولُ الْبَعْضُ: إِنَّكَ أَحْيَانًا تَعِيشُ فِي ضَيْقٍ لِسَبَبٍ أَوْ لِآخَرَ، وَلَكِنْ لَا تَعْرِفُ أَنْ بِاسْتِطَاعَتِكَ التَّخْلُصَ مِنْ هَذَا الضَّيْقِ، فَإِذَا تَخَلَّصْتَ مِنْهُ تَقُولُ: مَا كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّي قَادِرٌ عَلَى أَنْ أَتَخْلُصَ مِنْ هَذَا الضَّيْقِ. فَلَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ سَجَنَ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، وَكَانَ بِاسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَهْرُبَ لَكِنَّهُ لَمْ يُحَاوِلْ، وَبَقِيَ فِي السَّجَنِ سَنَوَاتٍ، وَحِينَئِذٍ حَاوَلَ اسْتِطَاعَ أَنْ يَتَخْلُصَ مِنْ سَجْنِهِ، يَقُولُ لِنَفْسِهِ: مَا كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّي اسْتَطِيعُ فِعْلَ ذَلِكَ. وَهَكَذَا يَقُولُ الْبَعْضُ: إِنَّي لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَنَّي قَادِرٌ عَلَى أَنْ أَعِيشَ دُونَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَالْآنَ اسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَلِمَاذَا نَلْتَزِمُ بِالدِّينِ؟

يُقَالُ إِنَّ الْأَمْثَالَ تُضْرَبُ وَلَا تُنَاقَشُ إِلَّا أَنْ ذَلِكَ لَا يَعْنِي أَنْ تُضْرَبَ الْأَمْثَالُ جُرَافًا، وَإِنَّمَا يَجِبُ مُرَاعَاةُ التَّشَابُهِ بَيْنَ الْمِثَالِ وَبَيْنَ الْفِكْرَةِ الْمُرَادِ تَقْرِيْبَهَا، وَهَذَا مَا لَمْ يَلْتَزِمْ بِهِ صَاحِبُ الْإِشْكَالِ حَيْثُ لَا وُجُودَ لِأَيِّ تَشَابُهٍ بَيْنَ الْأَمْثَلَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا وَبَيْنَ الْفِكْرَةِ الَّتِي أَرَادَ إِيصَالَهَا، وَلِتَقْرِيْبِ الْأَمْرِ سَوْفَ اسْتُخْدِمُ نَفْسَ كَلَامِهِ لِإثْبَاتِ أَمْرٍ آخَرَ فَإِنْ اسْتَقَامَ كَلَامِي فَسَوْفَ نُسَلِّمُ لَهُ بِدَلِيلِهِ، وَسَوْفَ أَنْقُلُ نَفْسَ كَلَامِهِ مَعَ تَغْيِيرِ النَّيْجَةِ (إِنَّ الْبَعْضَ يَعْيشُ فِي ضَيْقٍ نَفْسِيٍّ وَلَا يَعْرِفُ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ التَّخْلُصَ مِنْهُ وَإِذَا تَخَلَّصَ مِنْهُ يَقُولُ مَا كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّي اسْتَطِيعُ فِعْلَ ذَلِكَ، أَوْ إِذَا كَانَ مَسْجُونًا ظُلْمًا وَلَمْ يَهْرُبْ مَعَ إِمْكَانِيَّةِ الْهَرُوبِ ثُمَّ يَهْرُبُ بَعْدَ سَنَوَاتٍ فَيَقُولُ حِينَئِذٍ مَا كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّي اسْتَطِيعُ، وَهَكَذَا يَقُولُ الْبَعْضُ أَنَّي لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَنَّي قَادِرٌ عَلَى تَرْكِ حُبِّي لِأُمِّي وَأَبِي، أَوْ لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَنَّي اسْتَطِيعُ التَّخْلُصَ مِنَ الْقَوْلِ أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ الَّذِي أَسْكُنُهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ بَانٍ، أَوْ مَا كُنْتُ أَعْرِفُ بِأَنَّي قَادِرٌ عَلَى التَّخْلُصِ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ... وَالْآنَ اسْتَطِيعُ فِعْلَ ذَلِكَ، فَلِمَاذَا نَلْتَزِمُ بِحُبْنَا لِلْأَبَوَيْنِ أَوْ نَلْتَزِمُ بِالْقَوْلِ أَنَّ الْبَيْتَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ بَانٍ أَوْ نَلْتَزِمُ بِالْأَخْلَاقِ وَالْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ) لَا يُعَدُّ هَذَا الْكَلَامُ إِلَّا هَرَطَقَةً وَسَدَاجَةً فِي التَّفْكِيرِ، فَلَيْسَتْ الْمُسْكَلَةُ فِي إِمْكَانِيَّةِ التَّخْلُصِ مِنَ الشَّيْءِ وَإِنَّمَا فِي الدَّافِعِ الَّذِي يَجْعَلُنَا نَفْكَرُ فِي التَّخْلُصِ مِنْهُ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ أَنَّ تَرْكَ الدِّينِ أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ مَتَيْسِّرٌ لِلْجَمِيعِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﷻ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ) فَالْأَمْرُ لَا يَحْتَاجُ لِبَيَانِ نَمَازِجٍ تَبِينُ قُدْرَةَ الْإِنْسَانِ عَلَى تَرْكِ مَا لَا يَرْغَبُ فِيهِ حَتَّى يَسْتَدْعِيَ الْأَمْرَ حَشْدَ هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ، وَإِنَّمَا الْأَمْرُ لَهُ عِلَاقَةٌ بِالضَّرُورَةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَالْمَعْرِفِيَّةِ، وَالْحَيَاتِيَّةِ، الَّتِي تُوجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ لِهَذَا الْكَوْنِ

وَمِنْ ثَمَّ التَّسْلِيمَ لَهُ وَالْأَنْقِيَادَ لِأَوْامِرِهِ.

فَضِيقُ النَّفْسِ وَالسَّجُنُ مِنَ الْأُمُورِ الطَّارِئَةِ أَوْ الْخَارِجَةِ عَنْ إِرَادَةِ الْإِنْسَانِ وَالتَّخَلُّصُ مِنْهَا ضَرُورَةٌ لِكُلِّ
إِنْسَانٍ لَهُ عَقْلٌ، وَالَّذِي يَقْبَلُ بِهَا مَعَ إِمْكَانِيَّةِ التَّخَلُّصِ مِنْهَا يُعَدُّ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ أَحْمَقًا، وَهَذَا بِخِلَافِ الدِّينِ
وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ الَّذِي يُعَدُّ الْإِلْتِزَامُ بِهَا ضَرُورَةً فِي حَدِّ نَفْسِهَا، وَالَّذِي لَا يَلْتَزِمُ بِهَا هُوَ الَّذِي يُعَدُّ فِي نَظَرِ
الْعُقَلَاءِ أَحْمَقًا.